وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1

كلية الآداب واللغات/ قسم الآداب واللغة العربية

اسم الأستاذ: عبد القادر صحراوي

المقياس: النقد الأدبي القديم

النوع: تطبيق

السنة : أولى لسانس

الفوج: 05

مشاهد من النقد الانطباعي في العصر الجاهلي

عرفت عزيزي الطالب(ة) أن النقد الانطباعي هو نقد يصدر من شخص تحت تأثير الانطباعات الأولية السريعة الذوقية أو المزاج الخاص الفردي، ولم يصدر عن تفكير عميق وتأمل ودراسة معمقة، كما يكون هذا النقد أحكاما جزئية عامة سريعة غير معللة، يصف فيها الناقد النص ولا يبين الأسباب التي دفعته إلى ذلك. ويتميز هذا النوع من النقد بالسذاجة والبساطة والمبالغة في إصدار الأحكام، لأنه مبني على الانفعال والتأثر والنظرة العجلى، ولم يبن على قواعد وأسس علمية صحيحة اتفق عليها العلماء.

وإليك عزيزي الطالب(ة) هذه النماذج من النقد الانطباعي:

النموذج الأول:

كان نابغة بني ذبيان حَكمًا في الشعر، وكانت تُضرب له قبّة من أدَم (من جلد، وقيل هو أحمر) بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء؛ فدخل إليه حسّان بن ثابت وعنده الأعشى، وكان قد أنشد الأعشى شعرثم حضرت الخنساء، فأنشدته قصيدتها التي مطلعها:

"قَذىً بِعَينِكِ أَم بِالعَينِ عُوّارُ... أَم ذَرَّفَت إِذ خَلَت مِن أَهلِها الدارُ"

حتى انتهت إلى قولها:

وَإِنَّ صَخرًا لَتَأتَمَّ الهُداةُ بِهِ... كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأسِهِ نارُ

وَإِنَّ صَخرًا لَمولِانا وَسَيِّدُنا... وَإِنَّ صَخرًا إِذا نَشتو لَنَحّارُ

قال النابغة: لولا أن أبا بصيرٍ (يقصد الأعشى) أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس، أنت والله أشعر من كل ذات مثانة (موضع الولد من الأنثى– أي أشعر النساء!!

قالت الخنساء: ومن كل ذي خُصيتين. (كناية عن الرجال– كذلك

فقال حسان: أنا والله أشعر منك ومنها.

قال: حيث تقول ماذا؟

قال: حيث أقول:

لَنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلمَعنَ بِالضُحى... وَأَسيافُنا يَقطُرنَ مِن نَجدَةٍ دَما

وَلَدنا بَني العَنقاءِ وَابني مُحَرِّقٍ... فَأَكرِم بِنا خالاً وَأَكرِم بِنا اِبنَما

معنى البيتين أن حسان يفخر بقومه اليمانيين وكرمهم، وأن لهم جفانًا ضخمة– أي أوعية ضخمة للطعام، تُنصب فى الضحى ليأكل منها الناس، وفى نفس الوقت فهم شجعان وأسيافهم تقطر دمًا من كثرة نجدتهم للناس.

ثم يفخر بأنهم أهل لهذين الحيين (بني العنقاء) و (ابني محرق) فأكرم بنا نحن الأخوال، وأكرِم بالأبناء!

وكلمة (ابنما) تعنى ابن، ويجوز زيادة (ما) فيها.

قال النابغة:

إنك لشاعر لولا أنك قللت عدد جفانك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك.

وفي رواية أخرى: فقال له: إنك قلت– "الجفنات"، فقللت العدد، ولو قلت "الجفان" لكان أكثر.

وقلت– "يلمعن في الضحى" ولو قلت– "يَبرُقن بالدجى" لكان أبلغ في المديح، لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا.

وقلت– "يقطرن من نجدة دمًا" فدللت على قلة القتل، ولو قلت "يجرين" لكان أكثر لانصباب الدم. وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك. فقام حسان منكسرًا منقطعًا." ينظر : أبو الفرج الأصفهاني– "الأغاني" ج 9، ص 384 –طبعة دار الفكر.

كان نقد النابغة واضحًا من الناحية الفنية، فهو ينبه إلى أن حسان لم يوفق فى اختيار الألفاظ المناسبة التي يجب أن تدل على معانى الكثرة والمبالغة.
كما نقَده فى معنى من المعاني، وهو أنه فخر بأبنائه ولم يفخر بآبائه، والعادة عند العرب أن يفخر المرء بآبائه، ويدع لأولاده الفخر به.
ذكر المَرزُباني في (المُوشَّح)، قصة النابغة مع حسان– دون أن تكون الخنساء طرفًا فيها، فالنابغة استمع إلى الأعشى فحسان، ثم علق على الأخير: "أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك."
كذلك ينقل المرزباني الرواية عن الصولي بغير اختلاف ما. ثم يضيف لنا فيها إعجاب الصولي بنقد النابغة:
"فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل على نقاء كلام النابغة وديباجة شعره....."،على النقيض من ذلك دافع قُدامة بن جعفر فى كتابه (نقد الشعر) عن بيت حسان الأول فقال–:
... ."فمن ذلك أن حسان لم يرد بقوله: "الغرّ"– أن يجعل الجفان بيضًا، فإذا قصر عن تصيير جميعها أبيض نقص ما أراده، وإنما أراد بقوله: الغرّ– المشهورات، كما يقال يوم أغرّ ويد غراء، وليس يراد البياض في شيء من ذلك، بل تراد الشهرة والنباهة.
وأما قول النابغة في: "يلمعن بالضحى"، أنه لو قال: "بالدجى"، لكان أحسن من قوله: "بالضحى"، إذ كل شيء يلمع بالضحى، فهو خلاف الحق وعكس الواجب، لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء، فأما الليل فأكثر الأشياء، مما له أدنى نور وأيسر بصيص، يلمع فيه، فمن ذلك الكواكب، وهي بارزة لنا مقابلة لأبصارنا، دائمًا تلمع بالليل ويقلّ لمعانها بالنهار حتى تخفى، وكذلك السرج والمصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار، والليل تلمع فيه عيون السباع لشدة بصيصها، وكذلك اليراع حتى تخال نارًا.

وأما قول النابغة، أو من قال: إن قوله في السيوف: "يجرين"، خير من قوله: "يقطرن"، لأن الجري أكثر من القطر، فلم يرد حسان الكثرة، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويتعاودونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا: سيفه يقطر دمًا، ولم يسمع: سيفه يجري دمًا، ولعله لو قال: يجرين دمًا، لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادة العرب به."....قدامة بن جعفر (في نقد الشعر)، ص 64.

مع ذلك فهناك من شكك بالقصة كلها، فهذا سيبويهِ يلمح إلى ضعفها، فقد ورد في (خزانة الادب)- الشاهد 594، ج 8 / 106 ما يلي:

"على أَنَّهُ إنْ ثَبَتَ اعتراض النابغة على حسَّان بقوله: قَلَّلْتَ جِفَانَكَ وسيوفَكَ؛ لكان فيه دليلٌ على أنَّ المجموع بالألف والتاء جمعُ قِلَّةٍ)، وعلَّقَ البغدادي عَقِبَ قول سيبويه: (وهذا طَعْنٌ منه على هذه القصَّةِ.(

كذلك نجد الزجّاج يشك في القصة كلها، نقل عنه البغدادي في (الخزانة) ج 8 / 107:

"وهذا الخبرُ عندي مصنوع، لأن الألف والتاء قد تأتي للكثرة... قال تعالى *وهم في الغرفات آمنون*، فالمسلمون ليسوا في غرفات قليلة."

قال البغدادي ص 108:

"وكان أبو علي يُنْكِرُ الحكايةَ المَرْوِيَّةَ عن النابغةِ، وقد عرضَ عليه حسَّان شعرَهُ، وأنَّه لما صار إلى قوله لنا الجفناتُ الغُرُّ، البيت، قال له النابغةُ: لقد قَلَّلْتَ جِفانَكَ، وسيوفَكَ !

قال أبو علي: هذا خبرٌ مجهولٌ لا أصلَ له، لأن الله تعالى يقول *وهم في الغرفات آمنون* -"سبأ، 37.

ثم إن القول إن حسَّان افتخر بمن ولدتْ نساؤهم ولم يفتخر بآبائه وبقومه، هو غير دقيق، ففي القصيدة نفسها فخر بقومه:

وكائنْ ترى من سيد ذي مهابة أبوه أبونا وابنَ أخت ومَحرما
بكلِّ فتىً عاري الأشاجع لاحهُ قِرَاعُ الكُمَاةِ يَرْشِحُ المِسْكَ والدَّما
إذا استدبرَتْنا الشَمْسُ دَرَّتْ مُتُوْنُنَا كَأَنَّ عُروقَ الجَوْفِ يَنْضِحْنَ عَنْدَما.

فانظر الى هذا الفخر بقومه، وكيف جعلهم أُسودَ الشراة يلطمون كبشَ القوم لطما؟! بل جعل العرق الخارج من أجسادهم كأنه المسك، إذ كانوا يعتقدون قديمًا أن دمَ الملوك له ريح المسك، فهو يرفع قومه الى درجة الملوك.

فكيف خفي ذلك على النابغة إن صحّت الرواية؟

ثمة ملاحظتان أخريان:

*من المعروف للغويين أن جمع المؤنث السالم والأوزان فِعْلة، أفْعال، أفْعُل، أفْعِلة هي جموع قلة، ولكنها إذا حُلّيت بلام التعريف أو إذا أضيفت فإنها تفيد الكثرة، لذا فالجفنات وأسيافنا جمعا كثرة، وليس هناك ما يعيب حسان لغويًا.

ثم إن جمع القلة قد يستخدم للكثرة، وجمع الكثرة قد يستخدم للقلة، وهذا يسمى "استعمال النيابة" .

يصف حسان قومه بالبأس والكرم، ولا يقصد إطلاقًا أن يصفهم بقلة ما يمدحهم به، وهذا من نافلة القول.

مما يثير الغرابة في رواية الأغاني وسواها أن النابغة يقول:

"لولا أن أبا بصيرٍ أنشدني قبلك لقلت: إنك أشعر الناس." .....

فهل النابغة يحكم بالأفضلية تبعًا لتأخير القراءة أو لسبقها؟

يؤكد تساؤلي ما لاحظنا أن الأعشى كان "مغيّبًا" في الحوار حول أفضلية الخنساء أو حسان.

أخيرًا، فإن القصة تبقى طريفة تدل على النقد العربي في بداياته، فهذا المشهد مسرحي تمامًا.

كما تدل القصة كذلك على مكانة المرأة الجاهلية التي تصرّح بكناية جنسية جريئة كأنها عبارة عادية تطلقها وتتحدى، ولا تبالي.

وتدل ثالثًا على اختلاف الروايات، فثمة روايات أخرى يزيدون فيها في النقد الموجَّه لحسان، منها استخدام (الغرّ)، و (دما) و (أسيافنا) ...إلخ

مع ذلك، فثمة من جعل الرواية كلها موضع شك وتساؤل.

النموذج الثاني:

من الشواهد النقدية ما ورد في قصة «أم جندب» حين تنازعا علقمة الفحل وامرؤ القيس وادعى كلاهما انه اشعر فاحتكما إليها فقالت لهما: قولا شعرا على روي واحد وقافية واحدة تصفان فيه الخيل ففعلا فانشد بها زوجها امرؤ القيس قائلا:

فللسوط ألهوب وللساق درة * * * وللزجر منه وقع احوج منعب

وقال علقمة:

فأدركهن ثانيا من عنانــه * * * يمر كمر الرائح المتحلب

فقضت أم جندب لعلقمة على امرئ القيس لان فرس امرئ القيس يبدو كيلا باليدا لم يدرك الطريدة إلا بالضرب والزجر والصياح خلاف فرس علقمة الذي انطلق بسرعة الريح ولم يحتج إلى الإثارة فهو ابرع وسرعته طبيعية أصيلة ويلاحظ أن أم جندب ، اعتمدت في حكمها على بعض القواعد وهي:

وحدة الروي والقافية ووحدة الغرض حتى تبدو بحق براعة كل شاعر في إطار الشروط المحددة ، ونستنتج من هذا أن النقد الجاهلي لم يكن يعتمد دائما على مجرد السليقة والفطرة بل كانت له أحيانا شبه أصول وقواعد يعتمد عليها.

تطبيق

فطن العرب الجاهليون إلى روعة النغم في الشعور وإلى جودة المعاني وعرفوا بطبعهم ما هو حسن من عناصر الشعر وما هو رديء عرفوا أن من الصياغة ما هو سهل، وما هو جزل، وما هو عذب سائغ، وعرفوا أن من المعاني ما هو صحيح مستقيم، وما فيه زيغ وانحراف، عرفوا ذلك طبعا لا تعلما، فلم يكن عجيبا أن يتكلموا فيعربوا ، وأن ينظموا فيصححوا الوزن دون أن يكون لهم عهد بنحو أو صرف أو عروض.

السؤال: اشرح الأحكام القديمة الواردة في النص مبينا مقياس الجاهليين في معرفة الشعر الجيد والرديء مدعما شرحك ببعض الشواهد من نقد العصر الجاهلي.

مشاهد من النقد الانطباعي في صدر الإسلام

أوتي الرسول (ص)جوامع الكلم وهو افصح العرب لسانا وبيانا فهو يتذوق الشعر و يعجب بأساليبه الجيدة و بمعانيه التي تتلاءم مع دعوته و قد قال (ص) لا تترك العرب الشعر حتى تترث الإبل الحنين."

و قد كان كثيرا ما يخوض في مسائل الشعر مع الوافدين إليه من المسلمين و يلتقي بالشعراء أنشد الرسول (ص) قول عنترة:

و لقد أبيت على الطوى و أظله حتى أنال به كريم المأكل.

فقال (ص) ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة.

و للخلفاء الراشدين آراء و أحكام نقدية تبين نظرتهم الإسلامية إلى الشعر فقد ظلت وقود العرب المسلمين بعد وفاة الرسول تفد إلى المدينة فيخوضون في أخبار رجالات الجاهلية من شعراء و أبطال و أجواد و كثيرا ما كان الخليفة يشاركهم الحديث و يخوض معهم فيما يخوضون من نقاشات ، و من أبرز الخلفاء الذين عرفوا بذلك ، عمر بن الخطاب ، فقد كان عالما بالشعر و ذا بصيرة فيه يتذوق أساليبه الجميلة معجبا بالشعر الذي يلتزم الأخلاق الحسنة و بالمقابل كان ينهي عن شعر الخمرة و الهجاء و الغزل الفاحش و يعاقب عليه و أن بدا في موقف عمر هذا بعض الصرامة مع الشعراء الذين قالوا في أعراض لا ينبغي القول فيها فإنه موقف طبيعي لأنه موقف خليفة شديد التدين حريص على سلامة الإسلام و المسلمين يسعى إلى بناء مجتمع إسلامي بنية سليمة.

و يتلخص موقف عمر فيما ورد عنه من آراء في الشعر و الشعراء ، فقد تحدث مرة مع و فد عطفان حين و فد إليه فسألهم قائلا : أي شعرائكم الذي يقول :

–أتيتك عاريا خلقا ثيابي * على خوف تظن به الظنون

–فألقين الأمانة لم تخنها * كذلك كان نوح لا يخون

قالوا : النابعة ، قال : فأي شعرائكم الذي يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة * و ليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة . قال : هذا أشعر شعرائكم ، أي لأن النابغة أشعر شعراء قومه غطفان على كثرتهم

و يروي أن ابن عباس قال : قال لي عمر ليلة مسيرة إلى الجابية في أول غزوة غزاها ، هل تروي لشاعر الشعراء ؟ قلت : و من هو ؟ قال الذي يقول:

و لو أن حمدا خلد الناس أخلدوا * و لكن حمد الناس ليس بمخلد .

قلت : ذلك زهير . قال : فذلك شاعر الشعراء قلت . و بم كان شاعر الشعراء ؟ قال : لأنه كان لا يعاضل في الكلام ، و كان يتجنب وحشي الشعر و لم يمدح أحدا إلا بما فيه.

للتطبيــق

كان عصر البعثة حافلا بالشعر ، فياضا به ، و إن ضعف في بعض نواحيه، فالخصومة بين النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه من ناحية ، و بين قريش و العرب من ناحية أخرى كانت عنيفة حادة لم تقتصر على السيف و اللسنان ، بل امتدت إلى البيان و الشعر ، و إلى المناظرات و الجدل ، و إلى المناقضات بين شعراء المدينة و شعراء مكة ، و غير مكة من الذين خاصموا الإسلام و ألبوا العرب عليه.

كان شعراء قريش و من والاهم يهجون النبي و أصحابه ، و كان شعراء الأنصار

يناقضون هذا الهجاء و لعل ذلك أول عهد حقيقي للنقائض في الشعر العربي ، و لعل تلك الروح هي التي أنهضت هذا الفن في الشعر ، فازدهر في العصر الأموي ازدهارا تاما هذه المناقضات بين مكة و المدينة كانت تدعو إلى النقد، و إلى الحكم ، و إلى الإقرار و الاذعان ، و كان العرب يقدرون هذا التهاجي ، و يؤمنون بما فيه من قوة ، و يفصحون عمّا فيه من لذغ و إيلام.

وكانت قريش تجزع كل الجزع من هجاء حسان ، و لا تبالي بشعر ابن رواحة ، و كان ذلك قبل أن تسلّم فلما أسلمت رأت في الشعرين رأيا آخر ، فقد كان حسان يطعن في أحسابهم ، و يرميهم بالهنات التي تنال من العزة الجاهلية ، و كان عبد الله ابن رواحة يعيرهم بالكفر ، ثم أسلموا وكان شعر ابن رواحة هو الذي يحز قلوبهم حزا ، فهم كانوا يرون أن حسانا أعظم الشعراء الخصوم ، و يرون معانيه أحد و آلم من معاني أي أنصاري آخر، وهم إذن يرون الهجاء المقذع المرّ ما تعرض للحرم و الأنساب ، لا ما تعرض للعقيدة والدين.

و من جهة أخرى كان المهاجرون و الأنصار يعدون حسانا الشاعر الذي يحمي أعراض المسلمين ، يبعثون في طلبه حين تفد الوفود ، و يفزعون إليه حين تأتيهم القوارض ، فيبلغ من حاجتهم ما لا يبلغه صاحباه ، و الكلام كثير في أن النبي صلى الله عليه و سلم قدم المدينة فتناولته قريش بالهجاء ، و هجوا الأنصار معه ، و أن عبد الله بن رواحة ردّ عليهم فلم يصنع شيئا ، و أن كعب بن مالك لم يشف النفس ، و إنما الذي صنع و شفى ، وصب على قريش من لسانه شآبيب شر هو حسان ، و الكلام كثير في استماع النبي لحسان ، و في إيثار النبي لحسان ، و في أن المسلمين كانوا يعتمدون اعتمادا حقيقيا على حسان في هذا

الضرب من النضال لأنهم كانوا يرون معانيه من الأسلحة الماضية التي تجزع منها قريش، وهنا روح النقد ظاهرة : واضحة في مكة و المدينة : فحسان بن ثابت كان أعظم شعراء الحلبتين عند قريش و المسلمين في السنوات العشر التي أقامها النبي عليه السلام في دار الهجرة.(تاريخ النقد الأدبي عند العرب، لطه أحمد إبراهيم).

المطلوب: استخرج الأحكام النقدية التي يتضمنها النص ثم أشرحها حسب ترتيبها مبينا موقف قريش من شعر حسان بن ثابت وابن رواحة معللا سبب اختلاف موقف قريش من شعر الشاعرين قبل و بعد إسلامها

مشاهد من النقد الانطباعي في العصر الأموي

النقد في الحجاز

ورد عن السيدة سكينة من شواهد نقدية في هذا الموضع حكمها على بيت جرير : طرقت صائدة القلوب وليس إذا حين الزيارة فارجعي بسلام.

فلاحظت أن في البيت خلالا قائله : أفلا أخذت بيدها ورحبت بها، وقلت : ادخلي بسلام ، أنت رجل عفيف.

فقد فرقت الناقدة بين الكلام عن الأحاسيس العاطفية وبين الأخلاق، فالشاعر هنا يتكلم عن العواطف لا عن الأخلاق ، وفرق كبير حين يستقبل الإنسان شخصا ما وحين يستقبل عزيزا عليه.

وقد روت عنها كتب الأدب نماذج كثيرة من نقدها الظريف ، فقد سمعت " نُصَيْبا" يقول:

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ فَوَاحُزْنَا مَنْ ذَا يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي

فعابت عليه صرف نظره إلى من يعيش مع " دَعْد " بعده ورأت الصواب أن

يقول :

أَهِيمُ بِدَعْدٍ مَا حَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ فَلاَ صَلُحَتْ دَعْدٌ لِذِي خُلَّةٍ بَعْدِي.

وقد امتد هذا اللون من النقد في موضوع الغزل إلى نساء أخريات، فقد عاتبت " عَزَّةُ " " كُثَيِّرًا" في وصفه لها بالمظاهر الشكلية غير الطبيعية ، وقالت له لما لا تقول مثل ما قال امرؤ القيس في وصفه المرأة:

أَلَمْ تَرَنِي كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَتَطَيَّبِ.

وقد استرقت " عَزَّة " قول "الأحْوَص" وفضّلته على كثير في بعض معانيه في وصف المرأة مثل قوله :

وَمَا كُنْتُ زَوَّارًا وَلَكِن الْهَوَى إِذَا لَمْ يُزَرْ لاَبُدَّ أَنْ سَيَزُورَ.

وكان "ابن أبي عتيق" من رجال هذا التيار النقدي الذي يفحص ويدرس هذا اللون من شعر الغزل المعبر عن الحياة المترفة المتحضرة ؛ ومن شواهد نقده في هذا الموضوع أنه سمع مرة عمر بن أبي ربيعة ينشد شعرا في غرض الغزل:

بينما ينعتنني أبصـــرنني دون قيد الميل يعدو بي الأغرّ

قالت الكبرى أتـعرفن الفتى ؟ قالت الوسطى : نعم هذا عمر

قالت الصغرى وقد تيمـتها قد عرفناه وهل يخفى القمر ؟

فقال ابن أبي عتيق معلقا على مضمون ما قال : أنت لم تنسب بها إنما نسبت بنفسك ،أي كأنه لم يتغزل بالمرأة إنما تغزل بنفسه.

وقد برز إلى جانب هؤلاء النقاد نفر من الشعراء مارسوا النقد إلى جانب الشعر، فقد سمع عمر بن أبي ربيعة " كُثَيِّرًا " يقول:

ألا ليتنا يا عَزُّ ( ) كنا لدى غنى بعيرين نرمى في الخلاء ونعـزب( )

كلانا به عر( ) فمن يرنا يـقول على حسنهما جرباء تعدي وأجرب

إذا مـا وردنا المـاء صاح أهله علـينا فما ننفك نُرمى ونُضـرب.

فقال عمر : تمنيت لها ولنفسك الرّق و الجرب و الرمي و الطرد و المسخ ، فأي مكروه لم تتمن لها ولنفسك ، لقد أصابها منك قول القائل : " معاداة عاقل خير من مودة أحمق. "

وقد حدد النقاد الحجازيون مقياس الغلو و المبالغة في رسم العاطفة، ومن ثمة صار إذا ما عبر الشاعر عن عاطفته بغُلُوّ أو بصورة خارجة عن المألوف كانت غريبة مضحكة تشبه النوادر. قال عمر لبن أبي ربيعة شعرا فيه غلو:

ومَــن كانَ مَحْزُونًا بإهْرَاقِ عَبْرَةٍ وهـيَ غَرْبُهَـا فلْيَأتِنَا نَبْكِهِ غَدَا

نُعِنْهُ عَلى الأثْكَال ( ) إنَ كانَ ثَاكلاً وإنْ كان مَحزونًا وإن كَان مقصِدَا( )

فمضى بن أبي عتيق إلى عمر وقال له : جئناك لموعدك ، قال : وأي موعد بيننا ، قال : قولك : " فليأتِنَا نَبْكِهِ غَدَا " . وقد جئناك و الله لا نبرح أو تبكي إن كنت صادقا أو ننصرف على أنك غير صادق ثم مضى وتركه .

إن مثل هذه الصور زائدة عن اللزوم في التعبير عن الأحاسيس العاطفية و المواقف و بالتالي فهي صور ساخرة غير مقبولة لأنها غير صادقة.

النقد في العراق

قال ذو الرمة مرة للفرزدق : مالي لا ألحق بكم معشر الفحول ؟ فقال له : لتجافيك في المدح و الهجاء واقتصارك على الرسوم و الديار . أي أنه مازال ينظم على منوال القدماء ولم يساير الظروف . لذلك لا نجد أثرا لمثل ذلك النقد الذي كان في الحجاز أو الشام وإنما نجد نقدا آخر يتلاءم مع طبيعة البيئة العراقية، وما كان فيها من شعر حيث اتجه النقاد هناك إلى الموازنة بين الشعراء، وأي الثلاثة أشعر ؟ وسموا هذا قضاء وسموا الذي يحكم قاضيا ، وسموا الحكم و الحاكم أي الناقد " حكومة. "

و قال جرير في الأخطل لما فضل الفرزدق عليه:

فدعوا الحكومة لستموا من أهلها إن الحكومة في بني شيبان

غير أن هذا النوع من النقد لم يكن الوحيد في العراق لأن هناك بعض الشعراء من قال شعرا خارج شعر النقائض، ولذلك راح بعض النقاد يعنى بمميزات شعر الشاعر ، وما تفرد به عن غيره، و البحث عن مواطن ضعفه وقوته وموازنته بغيره وإصدار الحكم عليه ، كحكم الفرزدق على النابغة الجَعْدِيّ بأنه صاحب " خُلْقَان " و البيت يساوي عنده آلاف الدراهم و البيت لا يساوي إلا درهما. وحكمه على ذي الرمة بجوده شعره لولا وقوفه عند البكاء على الدِّمَن، وكذا حكم جرير على الأخطل بأنه يجيد مدح الملوك ، وموازنة الأخطل بين جرير و الفرزدق بأن جريرا يغرف من بحر، والفرزدق ينحت من صخر.

وإلى جانب نقد الموازنة في شعر النقائض، وكذا النقد الذي يعنى بإبراز ما تفرد به بعض الشعراء في شعرهم عن غيرهم ، فهناك نقد يعنى بالمعاني الجزئية في شعر الشاعر دون موازنته بغيره ، فقد نقد الحجاج الفرزدق حين مدحه في قوله :

من يأمن الحجاج و الطير تتقى عقوبته إلا ضعيف العزائم

فقال الحجاج : الطير تتّقى كل شيء حتى الثوب و الصبي. وفضّل عليه قول جرير فيه نفس المعنى :

من يأمن الحجاج أما عقابه فمُرٌّ وأما عهدُه فوثِيق

النقد في الشام

ولعل عبد المالك بن مروان خير من عرض الشعر بالنقد فهو يتسم بمعرفة دقيقة بمحاسن الكلام وسعة وإحاطة بالأدب واللغة. وكانت له أراء نقدية كثيرة فهو مثلاً يأخذ على الشعراء عدم لأنه بدأ قصيدته بقوله : ما بال عينك منها الماء ينكسب *** كأنه من كل مقرية سرب . وكانت بعين عبد الملك ريشة هي تدمع أبدا فتوهم انه خاطيه أو عرض به.فقال : وما سؤالك عن هذا يا جاهل 5؟ فمتعه

وأخرجه .وأنشده الأخطل : خف القطين فراحوا منك أو بكروا قال عبد الملك : "بل منك إنشاء الله تطيراً 1

فجعل الأخطل : فراحوا اليوم أو بكروا وأنشده جرير : أتصحوا أم فؤادك غير صاح *** عشية هم صحيك بالروح . فقال له عبد الملك : "بل فؤادك يا ابن الفاعلة" كأنه استثقل هذه المواجهة 2 . و إلا فقد علم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه .وكان يأخذ على الشعراء عدم التجديد في المعاني وتوجهم منهجاً تقلدياً إذ دخل عليه عبيد الله بن قيس الرقيات وأنشده قصيدة قال فيها:

إنا لأغر الذي أبوه أبو الـ *** عاصي عليه الوقار والحجب

يعتدل التاج فوق مفرقه *** على جبين كأنه الذهب

.فقال له عبد المالك : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مصعب ابن الزبير:

إنما مصعب شهاب من الله *** تجلت عم وجهه الظلماء

ملكه ملك عزة ليس فيه *** جبروت منه ولا كبرياء .

وبلغ عبد الملك قول جرير : هذا ابن عمي في دمشق خليفة *** لو شئت ساقكم إلى قطينا .فقال : أما والله لو قلت : لو شاء ساقكم إلي لفعلت ولكنه قال لو شئت فجعلني شرطياً له.

ويتجلى لنا ذلك في مدى إهتمام عبد الملك بن مروان بدقة المعاني في المديح وتوجيهه للشعر نجد التجديد في ذلك.